مجلة الحوار الفكري ISSN: 1112-5144
مجلد: 16 عدد: 01 السنة 2023 EISSN2600-6332

حوار الأديان السماوية (الإسلام والمسيحية واليهودية) بين التعايش والمساحات المشتركة

محمود عبد الرحمن دادو، دكتور مساعد، تاريخ الأديان، Mahmoud.dado.1988@gmail.com

الملخص

إن للحوار بين الأديان السماوية أهمية بالغة؛ فبه تتقارب الأفكار وتنمحي العداوات، وبه تتجاوز الأمم المحن لتعمل في ميدان واحد يصل بها إلى بر السلام والعيش الآمن، ولقد تعددت محاولات المهتمين بالحوار وأساليبه في هذا الميدان، ووجدت هذه المحاولات لنفسها ضوابط وقواعد رصينة إذا تمت مراعاتها فإن الحوار سيؤتي ثمرته وتتطور نتائجه، ولقد شكّل مبدأ التعايش بين الأديان أهم أسباب نجاح الحوار وأركانه، ومن هذا التعايش تطورت فكرة المساحات المشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية)، وهي التعاليم العامة في شتى مستويات الأخلاق والتعامل، ويرى المشتغلون بالدعوة والحوار أن التركيز على هذه المسحات يشكّل عاملاً مهماً في الحوار رسماً لمعالمه وصياغةً لأساليبه وتحقيقاً لأهدافه ومقاصده، فما هي المبادئ العامة للحوار؟ وما أهم منطلقاته؟ وما هي أهم المحاور التي تشكّل قضايا أساسية في حوار المساحات المشتركة؟ انطلاقاً من هذه التساؤلات رأيت أن أفرد هذا البحث لبيان الخطوط العريضة في حوار المساحات المشتركة وحدوده وضوابطه وشروطه بمنهج استقصائي تحليلي بغية إيضاح أهمية حوار الأديان، وتأصيل قضاياه المتعلقة بالمساحات المشتركة، والمساهمة في وضع بعض المعالم المساعدة على رسم خارطة الطريق المستقبلية للحوار الديني، ليكون ذلك معيناً لغيري من الباحثين على المضي في طريق بيان بقية تطبيقات هذا الحوار وقضاياه التي ينبغي الاشتغال بها، ولقد تبين في البحث أن الحوار هو السبيل الأسمى لضبط الاختلاف، وركيزةً أساسية في الدعوة إلى الله، وله دور مهم في إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين، وتبينت كذلك الحاجة إلى حوار هادف للأديان تنبع من طبيعة العصر الراهن، وكذلك اشتمال مفهوم (المساحات المشتركة) على كثيرٍ من القضايا التي اتفقت عليها الأديان السماوية.

الكلمات المفتاحية: أديان، حوار، مساحات مشتركة

Astract

Dialogue between the monotheistic religions is of great importance. With it converging ideas and eradicating hostilities, and by which nations overcome adversity to work in one field that leads to peace and secure living, and the attempts of those interested in dialogue and its methods in this field have varied, and these attempts found for themselves solid rules and rules if they are observed, then the dialogue will bear fruit and develop its results. The principle of interfaith coexistence was the most important reason for the success of the dialogue and its pillars, and from this coexistence the idea of common spaces between the three monotheistic religions (Islam, Christianity and Judaism) developed, which are general teachings in various levels of morality and interaction. Those involved in advocacy and dialogue see that focusing on these anatomy is an important factor in Dialogue is a drawing of its features, a formulation of its methods, and in order to achieve its goals and objectives, what are the general principles of dialogue? What are its most important starting points? What are the most important themes that constitute the core issues in the common spaces dialogue? Based on these questions, I saw that I dedicate this research to explaining the broad lines in the dialogue of common spaces, its limits, controls and conditions, with an analytical, investigative approach in order to clarify the

importance of the dialogue of religions, to root its issues related to common spaces, and to contribute to setting some milestones that will help in drawing a future roadmap for religious dialogue, so that is Helping other researchers to proceed in the way of explaining the rest of the applications of this dialogue and its issues that should be worked on, and it has been shown in the research that dialogue is the supreme way to control differences, and a fundamental pillar of the call to God, and it has an important role in highlighting the common mosques among the interlocutors. The need for a meaningful interfaith dialogue stems from the nature of the current era, as well as the inclusion of the concept of (common spaces) on many issues agreed upon by the monotheistic religions.
Key words: religions, dialogue, common spaces.

مقدمة

تقوم الحضارة على أساس العلم النافع المنتج، وتشاد بالفكر الرشيد المبدع، وتسود بالثقافة التي تبني الإنسان والعمران في آن واحد، فهذه هي العوامل التي تؤدي إلى نشوء الحضارة، وإذا ما تضافرت كانت قواعد راسخة للنهضة القوية الشاملة التي هي ثمرة الحضارة ومحصّلتها.

ولقد أصبحت الدعوة إلى الحوار ضرورة ملحة تفرضها الصراعات الحضارية القائمة، وتقتضيها المشاكل والأزمات الدولية العديدة، ولهذا شاعت في المجتمعات عبارات من قبيل: (حوار الأديان، والحوار الإسلامي المسيحي، وحوار الحضارات، وحوار الثقافات، والحوار العربي الأوربي)، وكانت الغاية من ذلك تعويض عبارات أخرى أخذت مأخذاً تاريخياً مؤلماً مثل: (الصدام الطائفي، والحرب الأهلية، وصدام الحضارات)، ومن هنا اكتسبت الدعوات إلى الحوار والأبحاث الكاشفة لضروراته ومآلاته منزلةً كبرى بين الأبحاث العلمية.

ولقد أصبح حوار الأديان اليوم عَلَماً على الحوار الواقعي الذي يتناول بالدراسة القضايا الاجتماعية والأخلاقية المهمة، لا سيما بعد أن أُقصي الحوار العقدي من موائد الحوار بدعوى عرقلته للتعايش بفعل تمسك الذات عادة بمقدسها ورفضها لانتقاده، وأضحى هذا المنحى الواقعي الجديد في الحوار الديني الحديث الرائج في الأوساط العلمية والثقافية اليوم لارتباطه بالعديد من القضايا المثيرة للجدل والتي لا بد من التكاتف بين الأديان للحديث عنها وتطويرها.

أولاً: أهمية الموضوع

برزت للوجود دعوة متنامية للحوار بين الأديان في خضمّ وجود اتجاهات عدة تسعى إلى تحقيق التقارب والتفاهم والاحترام المتبادل، وصدور الكثير من المواثيق والإعلانات الدولية التي تعلي شأن حقوق الإنسان وتجرم الحروب والعنف، ولا يزال يتسع نطاق هذه الدعوة منذ مطلع الستينيات من القرن الماضي إلى الآن، حتى أصبحت ظاهرة لها منظّروها وقضاياها

ومؤسساتها، حتى عدها البعض أهم ميزة للنصف الثاني من القرن العشرين وما بعده، بل صرح آخرون بأنه ليس في مسألة الحضارة اليوم أهم من الحوار بين الأديان.[1]

لاقت هذه الحركة الحوارية ترحيباً وتشجيعاً من قبل عدد من الأطراف، ووجَدَتْ أيضاً توجساً وخيفة عند آخرين، وتبعاً لذلك أصبح ما بين الرأي ونقيضه مواقف وآراء متدرجة سلباً وإيجاباً بخصوص مصداقية وشروط الحوار بين الأديان وأبعاده وقضاياه ضمن مبدأ (التعايش) بين الأديان، ولما باتت حركة الحوار هذه تلقي بظلالها الكثيفة في الأوساط الفكرية أصبح من الضروري أن تعمل هذ الحركة في نطاق يكفل احترام الأديان وتطوير القضايا المشتركة بينهم وهذا هو المقصود بالمساحات المشتركة بين الأديان.

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع

1- الحاجة لدراسة توضح الأسس التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار أثناء الحوار بين الأديان ليكون مثمراً منتجاً، وليتحوّل الحوار من معول هدم إلى عامل بناء.

2- أهمية البحوث والدراسات الموضوعية في مجال التواصل والحوار الإنساني عموماً، وخاصة في هذا العصر الذي كثرت فيه الدعوة إلى الحوار بقدر ما ازدادت فيه بؤر التوتر والصراع عدداً وحجماً.

3- الحتمية التاريخية المتمثلة في الامتحان العسير الذي تجتازه الإنسانية، والذي يضعها أمام خيارين لا ثالث لهما؛ إما الصراع المفضي إلى الفناء، أو الحوار المؤدي إلى تحقيق تعايش وسلام قوامه العدل والاحترام المتبادل.

ثالثاً: أهداف البحث

1- توضيح أهمية حوار الأديان نظراً للتعددية الدينية التي أضحت واقعاً لا يمكن إنكاره.

2- تأصيل قضية المساحات المشتركة وهي القضايا الأخلاقية والاجتماعية التي أكدتها الأديان.

3- المساهمة في وضع بعض المعالم المساعدة على رسم خارطة الطريق المستقبلية لحركة الحوار الديني.

رابعاً: منهج البحث

ولقد تراوح منهجي في هذا البحث بين المنهج التأصيلي للحوار الديني الواقعي والمنهج التحليلي الوصفي باعتباره منهجاً يقوم على أساس رصد ظاهرة محددة بهدف فهم مضمونها واستنباط خصائصها.

1- سالم إيلي، **دورة ورؤية**، مركز الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة البلمند، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، د.ط 1996م، ص 36.

خامساً: خطة البحث

قسمت البحث إلى تمهيد ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: أهمية الحوار بين الأديان.

المبحث الثاني: الإطار العام لقضية الحوار.

خاتمة: لأهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

إن الحضارة في عمقها وجوهرها هي القدرة العالية على المشاركة في صنع الحاضر وصياغة المستقبل، والفعل الحضاري هو الجهد البشري الذي يبذله الأفراد والجماعات لتحقيق هاتين الغايتين، ولا تكتمل لهذه المشاركة شروطها إلا بالتعايش الثقافي الحضاري بين الشعوب والأمم الذي يقوم على قاعدة التعاون الإنساني الواسع، ففي ظله تتفتح الثقافات وتزدهر الحضارات، وتتوطد العلاقات.

فالتعايش الثقافي والتساكن الحضاري هما اللذان يمهدان للحوار الذي هو ضرورة من ضرورات العيش المشترك؛ ذلك أن الحوار بين الثقافات والحضارات، وبين الأفراد والجماعات هو الوسيلة المثلى لتحقيق التوازن في الحياة الإنسانية.

إن العالم في هذا الطور من التاريخ محتاج إلى الحوار الحضاري كمنهجٍ ووسيلة وأداة لتفادي الصدام ومنع الخلاف، ولقد كان للتطور الذي عرفته العلاقات الدولية خلال العقود الأخيرة أثر مهم في تقوية الاهتمام بالحوار في جميع مجالاته؛ وذلك بحسبانه وسيلة ثبتت نجاعتها لتحقيق التعايش بين الشعوب كافةً.

وإن العالم اليوم مدعوّ إلى أن يمد أسباب الاتصال والتعارف والتعاون والحوار إلى أبعد مدى لشمل شعوب العالم وأممه كافةً، وإنّ الحوار بمعناه الشامل الجامع هو ضرورة من ضرورات تطوير علاقات العالم الإسلامي مع الأمم الأخرى، بما يحفظ المصالح العليا، ويصون حقوقها، ويضمن الاستفادة الكاملة من مواردها، ويصحح المعلومات الخاطئة التي تروج في العالم عن الإسلام والمسلمين.

إن الفكرة التي عالجتها في هذا البحث هي أن الحوار بين الأديان يجب أن يكون أداة لبناء الثقة، ولإقامة التعايش والتساكن والتفاهم، ولصنع المستقبل والحاضر في آن واحد، وهذه قضية على جانب كبير من الأهمية في حاضرنا ومستقبلنا معاً.

تعريف الحوار

الحوار لغةً:

قال ابن فارس: "حور: الحاء والواو والراء ثلاثة أصول: أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً".[2]

فالحَوَر شدة بياض العين في شدة سوادها، ويُقال حارَ إذا رجع، والمحور الخشبة التي تدور فيها المحالة.[3]

2- أحمد بن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، دار الفكر – الطبعة الأولى 1979م، 115/2.

الحوار اصطلاحاً:

يُعرّف الحوار بأنّه: "نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة، فلا يستأثر أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبُعد عن الخصومة والغضب، ومثال ذلك ما يكون بين صديقين في دراسة أو زميلين في عمل، أو مجموعة في نادٍ أو مجلس".[4]

المبحث الأول: أهمية الحوار بين الأديان

تتجلى أهمية الحوار بين الأديان الثلاثة بكونه وسيلةً من وسائل الاتصال بين البشر، فبه يستطيع كل طرف أن يوصل لغيره قناعاته وأفكاره، فإن استُخدم في خير حققه وبلغ الغاية، وإن استعمل في باطل وتزيين لغو كان كذلك وسيلة ناجعة.[5]

وتظهر أهمية الحوار من موضوعه إذ هو سبيل إبلاغ الرسائل الإلهية، ومحاجة المعاندين، قال تعالى:{قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا}(الكهف: 37)، فالتعدد في الآراء وتنوعها سنة الله في الكون، وناموس ثابت، فلكل شيء في هذا الخلق طبيعته وخصائصه التي تقارب غيره، وهكذا فطبيعة الوجود في الكون أساسها التنوع والتعدد، وكذلك فإن الاعتراف بوقوع الخلاف لا يعني إقرار جميع الآراء، ولا تسويغ الاختلاف فيها[6]، لذا فواجب أصحاب العقول المستنيرة أن يتصدوا لبيان الحق في جميع المسائل محل النقاش، فيُوضحوا ما تعلق بها من مفاهيم، ويُزيلوا ما علق بها من اشكالات.

1 المطلب الأول: تأصيل قضية الحوار بين الأديان

منذ أن سطع نور الإسلام على الدنيا أدرك المسلمون طبيعة دينهم وعالمية رسالته، فقاموا يدعون الناس إليه، من هنا بدأ الحوار بين المسلمين وغيرهم، وسجّل القرآن الكريم في آياته الكثير من هذه الحوارات.

3- انظر: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **العين**، دار ومكتبة الهلال – د/ط.ت، 283/3، 288، ومرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د/ط.ت، 106/11-107.

4- يحيى الزمزمي، **الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة)**، دار التربية – الطبعة الأولى 1414، ص47.

5- انظر: محمد السحيم، **الحوار النصراني الإسلامي (تاريخه – أهدافه – غاياته – الموقف الشرعي منه)**، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، د/ط.ت، ص 4، وعبد العظيم الديب، **الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي**، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى 1996م، ص 177.

6- انظر: منقذ السقار، **الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه**، رابطة العالم الإسلامي، د/ط.ت، ص 13-15.

وكان من أهم مناسبات الحوار بين المسلمين والمسيحيين هجرة أصحاب الرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ إلى الحبشة، فكان حوارهم مع النجاشي حول قول المسلمين في المسيح وأمه عليهما السلام، وحين هاجر النبي الكريم ﷺ إلى المدينة المنورة بدأ الحوار أيضاً مع أهل الكتاب من المسيحيين والنصارى من سُكّان المدينة المنورة، وكان أهم اتصال بين المسلمين والمسيحيين في تلك الفترة قدوم وفد نصارى نجران إلى المدينة وبقاؤهم فيها أياماً يناظرون رسول الله ﷺ.

ومن أهم مجامع الحوار التي عُقدت في العهد النبوي بين الأديان الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) ما نقله الطبري بإسناده إلى ابن عباس أنه (اجتمعت نصارى نجران وأحبار اليهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانياً، فأنزل الله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} (آل عمران: 67).[7]

ولم تنقطع الحوارات والكتب المتبادلة بين المسلمين وغيرهم، وإن خفّ بريقها مع تراجع الحركة العلمية عند المسلمين، لكن مع بداية الحركة الاستعمارية الغربية تجدد الحوار بين المسلمين ومستعمريهم من أصحاب الأديان الأخرى، ولعل من أبرز ما يُذكر في هذا الصدد الحوار الذي جرى بين العلامة رحمة الله الهندي والقس (كئي) ومساعده القس (فرنج)، ثم جرت المناظرة الكبرى بينه وبين القس (فندر) سنة 1270هـ رداً على النشاط التنصيري في الهند.[8]

ولقد نادى الغرب في كثير من الأحيان بالدعوة إلى الحوار بين الأديان، ثم بالحوار بين الثقافات والحضارات، وفي القرن العشرين نشط الحوار بين الأديان من جديد، ودُعِيَ المتحاورون إلى عدد من المؤتمرات، منها مؤتمر تاريخ الأديان في بروكسل عام 1935م، والمؤتمر العالمي للأديان المنعقد في لندن سنة 1936م، ثم في جامعة السوربون سنة 1937م، ثم نشطت الدعوة إلى حوار الأديان إثر انعقاد مجمع الفاتيكان الثاني الذي دعا لاستئناف الحوار مع الأديان سنة 1965م.[9]

المتأمل في هذه النظرة لتاريخ الحوار بين الأديان لن تخطئ عينه رؤية ما قدمه الإسلام من نماذج حوارية فريدة منذ فجر الإسلام، وهي تدعونا لحمل لواء الحوار وتفعيله على أتمّ وجه بما يكفل التعايش السلمي والرقي الحضاري لكافة الأديان.

فمما سبق نستنتج أن الحوار بين الأديان بمعناه السابق مطلب ملحٌّ لتوضيح الصورة الصحيحة لعقائد الإسلام وآدابه وأحكامه، ووسيلة مهمة من وسائل الدعوة الموجهة لكل الناس وإقناعهم بالحق، ولا يصح أن ننفي المعنى الصحيح في الحوار بسبب استعمال البعض له في الباطل، ولكن المنهج القويم في ذلك هو رد المعنى الباطل وإبراز المعنى الصحيح، بتبيين الحق،

7- رواه: محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى 1999م، 105/25.

8- انظر: أحمد بن عبد الرحمن الصويان، **الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية**، دار الوطن - الرياض، 1983م، ص 102، والسقار، **الحوار مع أتباع الأديان**، ص 23.

9- انظر: عبد العزيز التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، دار الشروق، الطبعة الأولى 1998م، ص 11، ومُحَمَّد الأمين الشنقيطي، **آداب البحث والمناظرة**، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، د/ط.ت، ص 33.

وإيضاح ما حصل في هذا الموضوع من الخلط والتخبط، وهذا يقتضي قيام مؤسسات من جميع الأديان للحوار بمنهجية صحيحة وأسلوب رصين.[10]

2 المطلب الثاني: أنواع حوار الأديان

لو تتبعنا الحوار الذي جرى بين أهل الإسلام وغيرهم من أتباع الأديان يجد ثلاثة أنواعٍ من الحوار، قد تتداخل فيما بينها أحياناً، وتفترق في أحايين أُخر.

2-1- حوار الدعوة:

ويعد هذا النوع من الحوار الأهم والأعظم، فقد سلك هذا النوع من الحوار أنبياءُ الله تعالى؛ حيث عمدوا إلى حوار المخالفين في الدين بغية تعريفهم بدين الله تعالى وإنقاذهم به، حيث يعمد المحاور المؤمن إلى تبيان مبادئ الدين وفضائله، ويوضح لمحاوريه ما أعده الله للمؤمنين به من عظيم الأجر وحسن المثوبة، وما توعّد به الكافرين من عقاب وعذاب أليم، ولما كان من غير المتصور أن يرجع الناس عن معتقداتهم لمجرد موعظة سمعوها؛ إذ تثور في الذهن أسئلة تبحث عمن يجيب عنها كان لا بد من الحوار.

لذا فإن حوار الدعوة تتركز موضوعاته حول التعريف بالله تعالى وصفاته، وبالإيمان وأضداده، وباليوم الآخر وسبيل النجاة والخلاص فيه[11]، ويمتاز حوار الدعوة عن غيره من أنواع الحوار ببعض الخصائص والسمات، منها:

التركيز فيه مع أهل الأديان على القضايا العقدية المهمة؛ بغية الوصول إلى الرأي الأصح فيها بأسلوب علمي رفيق.

تغلب الصفة والعلاقات الشخصية على هذا اللون من الحوار، ويبتعد عن الرسمية التي تغلب على حوار التعامل والتعيش.

هدف هذا النوع من الحوار الدعوة إلى دين الله، والسعي لإقناع الغير بأن هذا الدين هو الذي لا يقبل الله من العباد غيره.

وتعتبر الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم المنظور الإسلامي العام والخاص، لذا فالحوار في الحقيقة هو التطبيق العملي لمبدأ الدعوة في الإسلام، مع مختلف العقائد والتيارات الفكرية والملل والنحل.

10- انظر: عبد الرحمن السلمي، **الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه**، دار الصفا، الطبعة الأولى 2000م، ص 5، مُحَمَّد سيد طنطاوي، **أدب الحوار في الإسلام**، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، د.ط 1997م، ص 18.

11- انظر: بسام داود عجك، **الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ – التاريخ – الموضوعات – الأهداف)**، دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1998م، ص155.

أخذ المسلمون بهذا بزمام المبادرة في هذا اللون من الحوار؛ إذ هو استجابة لطبيعة دينهم، وتحقق هذا الأخذ باستضافتهم لغير المسلمين في دار الإسلام، واستقبال وفودهم، والكتابة إليهم، وغشيانهم في محافلهم لدعوتهم[12]، قال ابن تيمية: "وأمثال ذلك قد يكون واجباً أو مستحباً، وما كان كذلك لا يكون مذموماً في الشرع"[13]

ومن الخطأ أن يقوم هذا النوع من الحوار عل مبدأ العنف؛ ولذلك فقد وجب اعتماد اللين والمحبة أساساً في الحوار الذي تفتح القلوب على الحق، وتقرّب الأفكار إليه، وتخاطب فطرة الإنسان ووجدانه، بعيداً عن كل المعاني الشديدة والألفاظ القاسية.

فمما تقدم نخلص أن حوار الدعوة واجب ديني تتابعت النصوص على الدعوة إليه، كما أنه مطلب أخلاقي يفرضه علينا رحمتنا بالآخرين، وحرصنا على هدايتهم.

2-2-حوار التعايش:

إن الحياة التي نعيشها تحضّنا على البحث عن قواسم مشتركة نبني عليها العلاقات الاجتماعية بيننا، وهذا الأمر يقتضي من جميع أهل الأديان على اختلاف أديانهم ومذاهبهم ومشاربهم أن يلجؤوا إلى لون آخر من ألوان الحوار وهو حوار التعامل والتعايش، وهذا النوع من الحوار بعيد عن أصول الدين والمعتقدات، وهو حوار تفرضه السياسة الشرعية، وتمليه طبيعة التعايش بين الناس بحكم الجوار والمصالح المشتركة.

وقد ظهر هذا اللون من حوار التعايش والتقارب المعيشي منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، حيث عقد النبي الكريم ﷺ عهوداً مع يهود المدينة، كما أبرم صلح الحديبية مع سادات قريش، ولقد حوى الفقه الإسلامي بمذاهبه المختلفة تراثاً ضخماً في مجال العلاقات الدولية التي بينت أصول التعامل مع مختلف البشر.

يركّز هذا اللون من الحوار على النقاط المشتركة التي يتفق عليها المتحاورون، فيهدفون إلى تعميقها والتكاتف في سبيلها، كالحوار حول السلام العالمي، والتعايش بين الأمم، ومكافحة الشذوذ، ومعالجة الانحلال الأخلاقي، والتفكك الأسري، وهذا ما أسماه العلماء (المساحات المشتركة بين الأديان)، ومن أبرز معالم هذا النوع من الحوار:

الاعتراف بوجود الآخر واختياره للدين والمعتقد.

الاعتراف باختلاف المتحاورين وخصوصية كل دين، ونبذ التوفيق والتلفيق بين أديان الأطراف المتحاورة.

12- انظر: السقار، **الحوار مع أتباع الأديان**، ص 26.

13- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، **درء تعارض العقل والنقل**، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 1991م، 156/7.

تجنب إطلاق الألفاظ المفسدة لأجواء الحوار، كإطلاق الكفر على المتحاورين، أو الحديث عن عذابهم في النار مؤقتاً.

الدعوة إلى معرفة الآخر كما يريد هو أن يُعرف، ورفع الأحكام المسبقة عنه، ونسيان الماضي التاريخي.

إبراز أوجه التشابه والاتفاق بين الأطراف المتحاورة، ومحاولة التركيز عليها لاستثمارها وتنميتها، وإبعاد أوجه التباين والافتراق.

تجنب البحث في المسائل العقدية الفاصلة، حفاظاً على استمرارية الحوار، وضمان ديمومة التعاون على تحقيق القيم والمصالح المشتركة.[14]

وهذا النوع من الحوار مشروع وجائز، ودليل ذلك أن النبي الكريم ﷺ شهد في شبابه حلف المطيبين الذين اتفقوا على رد المظالم وإعانة المظلوم، ويعد هذا الحلف لوناً من ألوان اللقاء حول أسباب التعايش، وحين بُعث عليه الصلاة والسلام أكّد مشروعية مثل هذا العمل النبيل والتزامه بمثله، فقال: ((شهدت حِلفَ المطيّبينَ مع عمومتي وأنا غلام، فما أحب أن لي حمر النعم، وأني أنكثه))[15]

2-3- حوار الوحدة:

هو الحوار الذي يهدف إلى إزالة الفروق والاختلافات العقدية والشعائرية بين المتحاورين، وتمييع خصائص الأديان وتجاوزها من أجل وحدة الأديان والتقريب بينها، وهذه الدعوة التلفيقية قديمة ومتجددة، ترعاها مؤسسات من مختلف الملل والنحل، ولكل منها أهدافه التي يرنو من خلالها إلى اجتذاب الآخرين وصهرهم في بوتقته، ومن أبرز من ينادي بهذه الدعوى في أيامنا الحركة الماسونية بنشاطاتها ومؤسساتها المختلفة وامتداداتها المعاصرة.

يقول (مُحَمَّد رشاد فياض) رئيس محفل الشرف الأعظم الماسوني: "الميمات الثلاثة في الموسوية والمسيحية والمحمدية يجتمعون في ميم واحدة هي ميم الماسونية، لأن الماسونية عقيدة العقائد.... وإن باءَي البوذية والبرهمية يجتمعون في باء البناء، بناء هيكل المجتمع الإنساني"[16]

ومن أبرز معالم هذا الاتجاه من اتجاهات الحوار:

14- انظر: السقار، **الحوار مع أتباع الأديان**، ص 33.

15- رواه: أحمد بن مُحَمَّد ابن حنبل، **مسند أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2001م، رقم (1655)، 193/3، والحديث صحيح، ورجاله ثقات رجال الشيخين غيرَ عبد الرحمن بن إسحاق – وهو المدني- فقد أخرج حديثَه مسلم في الشواهد، ووثقه ابن معين وأبو داود وغيرهما، وحكى الترمذي في "العلل"أن البخاري قد وثقه، وتكلم فيه بعضهم، وقال أحمد: أما ما كتبنا من حديثه فصحيح.

16- أحمد عبد الرحمن القاضي، **دعوة التقريب بين الأديان**، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1422هـ، 360/1.

- اعتقاد كل طرف صحة إيمان الطرف الآخر من غير أن يقتضي ذلك الخروج عن المعتقد الأصلي.
- اعتقاد صحة جميع صور العبادات، فالكل يعتبرونه طريقاً موصلاً إلى رضا الله.
- الاشتراك في صلوات وممارسات وطقوس تجمع بين أتباع الأديان في محل واحد.
- تجنب البحث في المسائل المختلف عليها، والتي تظهر التناقض والاختلاف.
- اعتماد أسلوب التوفيق والتلفيق بين المتناقضات والمختلفات للوصول إلى صورة مشتركة تتجاوز كل الاختلاف.
- تبادل التهاني والزيارات والمجاملات في المناسبات الدينية المختلفة.

ولقد كان لعلماء الإسلام وقفة صارمة ضد هذا الاتجاه التلفيقي والتوفيقي بين الأديان، حيث رأوا مناقضته لأصول الإسلام ومبادئه، وأنه من قبيل المداهنة التي حرمها الله تعالى، ومن هذا المنطلق فإن الإسلام يرفض هذا النوع من الحوار الذي لا يحفظ خصائص الأديان؛ لأنه حوار يرنو إلى إشاعة وحدة الأديان وصهرها.[17]

3 المطلب الثالث: حدود الحوار ومجالاته

إن الحوار في حد ذاته مطلب حيويٌ وضرورة قصوى، والحوار لا يكون إلا مع الأنداد ضمن الأطراف التي تجمعها الرغبة المشتركة في إجراء حوار تهدف من ورائه إلى تحقيق أهداف معلومة متفق عليها، ولا يكون الحوار حواراً مثمراً إذا افتقر إلى شروطه، بل إنه يصبح ضرباً من العبث، أو إملاءً للرأي من طرف على آخر، وفي هذه الحالة يكون حواراً مزيفاً مفرَّغاً من أي دلالة أو مضمون.

وحوار المسلمين مع الأديان الأخرى ينبغي أن ينطلق من أسس قوية، ويكتسب معانٍ واضحة، وفي هذه الحالة فإن الغرب الذي سنتحاور معه هو تلك المنظومة المتكاملة من القيم والمبادئ التي تشكّل الفلسفة العميقة لمجموعة من الأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تحكم البلدان الغربية بالمفهوم السياسي العام، وليس فقط بالمدلول الجغرافي المحدود.

ومهما يكن من أمر فإننا نحن المسلمين اليوم نؤكّد ضرورة الارتفاع إلى مستوى متطلبات المرحلة الراهنة وتحديات القرن الحادي والعشرين، ولعلّ تناولنا لموضوع الحوار بين الأديان على هذا المستوى من المسؤولية والجدية والاهتمام أقوى دليل على تفوق المسلمين على الآثار الأليمة الماضية التي لطالما عملت عملها في العقول والقلوب.

ومن هنا فإن لهذا الحوار حدوداً يتعين علينا رسمها بدقة، والاتفاق عليها عن قناعة تامة، من هذه الحدود ما يلي:

17- انظر: السقار، **الحوار مع أتباع الأديان**، ص41.

أن يكون الحوار متكافئاً، وتتوفر له شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته، بحيث يكون حواراً شاملاً يدور مع مختلف الفئات والشرائح.

أن يتناول الحوار مختلف القضايا التي تهم المجتمع العربي، بحيث يتسع مجال الحوار ويتعمّق مجراه، فيشمل كل موضوع له صلة بالحياة الثقافية والفكرية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتقنية.

أن يهدف الحوار إلى تحقيق منافع مشتركة للطرفين، والتي لها صلة بالتقدم في مجالات الحياة ثقافياً وعلمياً واقتصادياً واجتماعياً، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير على مجمل العلاقات بين المسلمين والغرب، ويعود بالفائدة والنفع على الجميع.

أن يكون الحوار متحضراً، ومترفعاً عن الموضوعات التي هي مثار اختلافات دائمة لا سبيل إلى إزالتها إلا بتنازل من طرف.

أن يسير الحوار في خطوط متوازية، وضمن برامج معدّة مسبقاً، فلا يتوقف الحوار في هذا الاتجاه حول موضوع معين ريثما تظهر النتائج المترتبة على الحوار السائر في الاتجاه الثاني؛ إنما تترابط حلقات الحوار وتتداخل فيما بينها وصولاً إلى الأهداف المتوخاة.[18]

وإن التخطيط للحوار هو أول شروط النجاح في تحقيق الأهداف، ولذلك لا مناص هنا من تدخّل الهيئات والمنظمات المسؤولة التي تنهض بمهام العمل الثقافي والفكري العربي الإسلامي في قنواته الرسمية، حتى تستطيع التحكم بالاتجاهات العامة للحوار وتحويلها إلى المسارات التي تفضي إلى بلوغ الأهداف المرسومة.

وينبغي أن يكون واضحاً هنا أن الحوار مع الجهات الأكاديمية والثقافية حول القضايا ذات الثقل المعرفي الكبير سيبقى دائماً هو المدخل الرئيس إلى الحوار العام حول الموضوعات ذات الطبيعة الشمولية، وليس بالضرورة أن تنصرف الجهود إلى الحوار ذي الطابع الديني، وإن كان الحوار الديني أساساً من أسس التعايش والتفاهم اللذين يمهدان للتعاون في شتى المجالات.[19]

المبحث الثاني: الإطار العام لقضية الحوار بين الأديان

إن للحوار الإسلامي المسيحي خلفية تاريخية، فلأول مرة في تاريخ الكنيسة الغربية ناقش المجمع الفاتيكاني الثاني على مستوى مذهبي وعقائدي سنة 1965م مشكلة العلاقة بين الكنيسة والديانات غير المسيحية، حيث صدر عن الكنيسة

18- انظر: التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص 50.

19- انظر: محمّد عمارة، **العالم الإسلامي والمنظام الدولي (الخلفية التاريخية والتحولات المعاصرة)**، مركز دراسات العالم الإسلامي - مالطة، الطبعة الأولى 1992م، ص 23.

تصريح خاص حول "علاقة الكنيسة مع الديانات غير المسيحية"، وقد أولى هذا المجمع اهتماماً خاصاً بالإسلام، حيث تحدث المجمع المسكوني الكاثوليكي بصورة إيجابية عن الإسلام، معترفاً بوضعه الديني المتميز.[20]

وقد جرت قبل ذلك تطورات على مستوى العلاقة بين الإسلام والمسيحية، وكان من أبرزها الخطاب الذي ألقاه البابا (بولس السادس) في عمّان والقدس سنة 1964م، وتوجّه بتحيّة أخوية إلى المسلمين، ودعا إلى احترام الكنيسة الخاص للذين يعتنقون الأديان التوحيدية ويعبدون إلهاً واحداً حقيقياً، وفي نفس العام أعلن البابا بولس السادس عن إنشاء سكرتارية لشؤون الديانات غير المسيحية، ستتولى فيما بعد إدارة شؤون الحوار مع المسلمين، وفي شهر آب من العام نفسه وجّه رسالة ركّزت على ضرورة الحوار مع كل المؤمنين وذوي الإرادة الصالحة وإرساء علاقات جديدة بين الكنيسة والديانات الأخرى، وضرورة التقارب والحوار مع المسلمين خاصّة.[21]

إن المبادرة الحاصلة بعد المجمع الفاتيكاني الثاني من طرف الكنيسة تُبيّن أن الدعوة إلى الحوار مع الدين الإسلامي ليست مناورة سياسية إيديولوجية أملتها المصالح الآنية، بل هي نهج متكامل، وإذا كانت فكرة الحوار الإسلامي المسيحي نشأت في جو مشبع بروح الانفتاح والرغبة في التقارب مع أصحاب الديانات السماوية فإننا نحسن الظن، ونقبل بالواقع، ونرضى بأن نكون كمسلمين طرفاً في هذا النوع من الحوار، على الرغم من أننا نرى أنه لم يؤت أكله على النحو الذي نتطلع إليه.

لقد عقدت حتى الآن أكثر من ثلاثين جولة من الحوار الإسلامي المسيحي في عواصم متعددة، اتخذت شكل مؤتمرات وندوات وحلقات دراسية ولقاءات مشتركة، وعولجت فيها قضايا مهمة، ولكن النتائج التي انتهت إليها هذه الجولات من الحوار ليست بالثقل والأهمية التي ينتظرها الجمهور من الحوار بين المسلمين والغرب المسيحي.

إن الرؤية الواقعية للحوار الإسلامي مع الغرب المسيحي تجعلنا لا نتطلع إلى تطابق تام في وجهات النظر تجاه القضايا التي يتناولها الحوار، فهذا التطابق لا سبيل إليه في القضايا الثقافية والفكرية والمعرفية، وهذا أمر طبيعي، لكننا مع ذلك نأمل أن يتطور الحوار مع الغرب أسلوباً ومنهجاً وفلسفةً لا لينسجم مع ما نريده نحن منه، إنما لينسجم بالدرجة الأولى مع الروح الجديدة التي تسود العالم اليوم، ومع مبادئ الشرعية الدولية القائمة على قرارات الأمم المتحدة، وحتى يكون وسيلة في بناء الأسس الجديدة للعلاقات الدولية.[22]

20- انظر: أليكسي جورافسكي، **الإسلام والمسيحية**، ترجمة: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، العدد (215) المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون – الكويت، 1996م، ص 137.

21- انظر: المرجع السابق، ص140، ومحمد السمّاك، **مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي**، دار النفائس – بيروت، الطبعة الأولى 1998م، ص 179.

22- انظر: محمد محفوظ، **الإسلام والغرب وحوار المستقبل**، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998م، ص 130، والتويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص54، وانظر: وليم سليمان، **الحوار بين الأديان**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م، ص 12.

مهما يكن من أمر فإن حوار المسلمين مع الغرب سواء أكان على مستوى الحوار الديني أو الحوار السياسي أو الاقتصادي هو بحاجة إلى مراجعة نقدية تأتي على الأسس والمبادئ والأهداف والوسائل تنتهي إلى إجراء تقويم للجوانب التي تتطلب تصحيحاً.

1 المطلب الأول: أسس العلاقة بين المسلمين وغيرهم في المجتمع الواحد

إن الحوار لا يكون إلا مع التعدد، وإلا يكون حواراً مع الذات، فإذا لم يكن هناك تعدد فليس هناك حوار، ومن هنا فإنه يجب علينا أن نؤمن بالحوار وهذا يستبطن اعترافنا بالتعدد، وكذلك التعايش الذي هو التفاعل لا يكون إلا بين المتعددين والمختلفين.

ونحن نعيش على هذه الأرض كجمهور متجانس ومتنوع في بعض ما ينطوي عليه، لذا فإن لنا وشائج تلتقي بنا في مساحة العالم كله، فكيف يكون حوارنا وتعايشنا مع مخالفينا في الديانة من مسيحيين ويهود؟ إن هذا الحوار ينبغي أن يكون حوار الوطن الواحد، والمجتمع السياسي الواحد، والمجتمع الأهلي الواحد، مسلمين وغير مسلمين، لا سيما أننا على المستوى الإسلامي والعربي نواجه حقولاً عديدة، ونعمل في مجالات متنوعة، وأكثر هذه الحقول نشارك فيها أتباع الأديان الأخرى في التعامل والتعايش.[23]

ولقد وضع القرآن الكريم قاعدة تُعّدّ الدستور الأساس في معاملة غير المسلمين وذلك في قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: 8)، فالآية واضحة تماماً في تحديد كيفية العلاقة بين المسلمين وغيرهم، ولقد قدمت الآية مفهوم (البر) الذي يعني فعل كل الخير من أي ضرب كان على لفظ (القسط) الذي هو العدل، فبينت أن العلاقة ينبغي أن تقوم على البر والإحسان، وهو أمر أعظم من العدل وفوق إعطاء الحقوق.[24]

2 المطلب الثاني: تحديد مفهوم التعايش:

لا يستقيم لنا الأمر في بحث العلاقة والتعايش بين الأديان مالم نحدد بدقة مفهوم التعايش، باعتبار أن التعايش هو المحور الرئيسي للقضية التي ندرسها.

23- انظر: مُحَمَّد نفيسة، **الحوار سبيل التعايش مع التعدد والاختلاف**، دار الفكر المعاصر – بيروت، 1995م، ص 59 -60.

24- انظر: عجك، **الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ – التاريخ – الموضوعات – الأهداف)**، ص 32.

وبالرجوع إلى الدلالة اللغوية للتعايش التي هي الأصل في اشتقاق الاصطلاح نجد في المعجم الوسيط ما يلي: "تعايشوا عاشوا على الإلفة والمودة، ومنه التعايش السلمي، وعايشه: عاش معه، والعيش معناه الحياة وما تكون به الحياة من المطعم والمشرب والدخل".[25]

وإذا دققنا في مدلولات مصطلح التعايش (coexistence) الذي شاع في هذا العصر – والذي ابتدأ رواجه مع ظهور الصراع بين الكتلتين الشرقية والغربية اللتين كانتا تقسمان العالم إلى معسكرين متناحرين قبل سقوط جدار برلين وانهيار الاتحاد السوفييتي – نجد أن البحث في مدلول هذا المصطلح يقودنا إلى جملة من المعاني محمّلة بمفاهيم تتضارب فيما بينها، ولكن يمكننا تصنيفها إلى مستوياتٍ ثلاثة:

2-1- **المستوى الأول**: سياسي إيديولوجي يحمل معنى الحد من الصراع، أو ترويض الخلاف العقائدي بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي في المرحلة السابقة، أو العمل على احتوائه، وقد عُرف التعايش أول ما عُرف على هذا المستوى.

2-2- **المستوى الثاني**: اقتصادي يرمز إلى التعاون بين الحكومات والشعوب فيما له صلة بالمسائل القانونية والاقتصادية والتجارية.

2-3- **المستوى الثالث**: ديني ثقافي حضاري، وهو الأحدث، ويشمل بالتحديد معنى التعايش الديني والحضاري، والمراد به أن تلتقي إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام في العالم.[26]

وانطلاقاً من هذا المستوى الثالث، وعلى ضوء المفهوم السابق الذي استخلصناه منه نتعامل مع مفهوم التعايش وننظر في أبعاده، ومما سبق يتضح أن التعايش الديني أو التعايش بين الأديان يستند إلى أسس أربعة:

الأساس الأول: الإرادة الحرة المشتركة، بحيث تكون الرغبة في التعايش نابعة من الذات، وليست مفروضة أو مرهونة بشروطٍ ما.

الأساس الثاني: التفاهم حول الأهداف والغايات؛ وذلك حتى لا يكون التعايش فارغاً من أي مدلول عملي، أو لا يحقق الفائدة للطرفين، بحيث يكون القصد الرئيسي من التعايش هو خدمة الأهداف الإنسانية السامية، وتحقيق المصالح البشرية العليا.

25- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، **المعجم الوسيط**، دار الدعوة، الطبعة الأولى د/ت، 639/2-640.

26- انظر: التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص 76.

الأساس الثالث: التعاون على العمل المشترك من أجل تحقيق الأهداف المتفق عليها، ووفقاً لخطط التنفيذ التي يضعها الطرفان.

الأساس الرابع: صيانة التعايش بسياج من الاحترام والثقة المتبادلين، حتى لا ينحرف التعايش عن الخط المرسوم له.[27]

وفي مجال السياسة الدولية عُرف مصطلح (التعايش السلمي) بمعنى قيام التعاون بين دول العالم على أساس من التفاهم وتبادل المصالح الاقتصادية والتجارية، وقد ظهر هذا المصطلح بعد الحرب العالمية الثانية، ومما ساعد على إبراز الدعوة إلى سياسة (التعايش السلمي) الفزعُ الذري، وبعد قيام دول عدم الانحياز أكدت الرغبة بأن يكون التعايش السلمي هو السبيل إلى تنسيق العلاقات الدولية في العالم، وإلى نبذ سياسة الحرب وسياسة حافة الهاوية باستخدام معدّات الدمار الشامل.[28]

فإذا استندنا إلى المعنى السابق للتعايش بين الأديان أمكننا أن نقول إن التعايش بين الأديان إذا تم في حدود هذه المستويات وقام على هذه الأسس كان ضرورة من ضرورات الحياة، ويستوجب ذلك الدواعي الملحة لقاعدة جلب المنافع ودرء المفاسد، وتلبي نداء الفطرة الإنسانية للعيش في أمن وسلام وطمأنينة، حتى ينصرف الإنسان إلى تعمير الأرض بالمعنى الحضاري والإنساني لهذا التعمير.

فالتعايش بهذا الفهم الموضوعي لطبيعته ورسالته هو اتفاق الطرفين على تنظيم وسائل العيش فيما بينهما وفق قاعدة يحددانها، وتمهيد السبل المؤدية إليه، ولا يخرج مفهوم التعايش بين الأديان عن هذا الإطار العام إلا فقد خصوصياته وانحرف عن غاياته، وهذا ما يحتّم وجود قاعدة ثابتة يقوم عليها التعايش بين الأديان.

3 المطلب الثالث: منطلقات حوار المساحات المشتركة وأهدافه:

3-1- منطلقات وقواعد حوار المساحات المشتركة:

ما دام الحوار الراقي بين الأديان مظهر حضاري يعكس تطور المجتمع ونضج فئاته الواعية فلا بد أن يستند إلى أسس ثابتة وضوابط محكمة، وأن يقوم على أسس وقواعد موضوعية، ويمكننا أن نذكر من هذه القواعد على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

3-1-1- الاحترام المتبادل بين الأديان الثلاثة:

27- انظر: التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص 76- 77.

28- انظر: أحمد عطية الله، **القاموس السياسي**، دار النهضة العربية – القاهرة، الطبعة الثالثة 1968م، ص 310.

إن الاحترام بين المتحاورين من الرؤية الإسلامية الحضارية يُعدّ المنطلق الأول والقاعدة الرئيسية للحوار، وهو الجانب المهم الذي يجب أن يركز عليه الحوار، قال تعالى: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} (الأنعام: 108)، وهذا الأمر يفترض وجود قواسم مشتركة تكوّن إطاراً عاماً وأرضية صلبة للحوار، ولنا في القيم الدينية أولاً ثم في المبادئ الإنسانية ثانياً مادةٌ جيدة لجميع المشاركين في الحوار، وعلى جميع المستويات، وهي جميعاً قيم ومبادئ تحكم علاقات البشر، وتضبط مسار حركاتهم وسكناتهم، وتضع القواعد الثابتة للتعامل فينا بينهم، وبذلك نضمن ألّا يكون الحوار ساحة للّجاج العقيم.

3-1-2- الإنصاف والعدل:

وهذا هو المنطلق الثاني من منطلقات حوار المساحات المشتركة، ولنا قاعدة ثابتة في ذلك في قوله تعالى: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} (المائدة: 8)، فالعدل هو أساس الحوار الهادف الذي ينفع الناس ويمكث أثره في الأرض، ويقتضي العدل والمساواة بين البشر، ويستدعي الاعتراف بالفضل لذويه، ويتطلب الإقرار بالحقيقة وإن لم تكن في صالح جميع الأطراف.

ثم إن العدل هو روح الشريعة الإسلامية، وهو كذلك جوهر القانون الوضعي، وهو الأساس الذي يقوم عليه القانون الدولي الذي يجب أن يسود المجتمعات البشرية كلها.

3-1-3- نبذ التعصب والكراهية:

وهي قاعدة تتولد باجتماع القاعدتين السابقتين (الاحترام المتبادل) و(الإنصاف والعدل)، ونجد كذلك أصلاً لهذه القاعدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: 8)، نرى في هذه الآية أن التوجيه القرآني يرقى من مستوى نبذ التعصب والكراهية إلى مقام أرفع وأجلّ وهو البر بالناس كافة، ومعاملتهم بالقسط والإحسان بكل دلالاته الأخلاقية واللغوية.[29]

ويذكر الشيخ مُحَمَّد عبده في شرحه لقوله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} (البقرة: 83) أن "الحسن" في هذا السياق ليس معناه مجرد التلطف بالقول والمجاملة بالخطاب، بل المقصود بذلك هو النافع في الدين والدنيا.[30]

3-1-4- الحرية في العقيدة:

29- انظر: التويجري، **الحوار من أجل التعايش**، ص 17-18.

30- مُحَمَّد عبده، **الأعمال الكاملة**، تحقيق: مُحَمَّد عمارة، دار الشروق - القاهرة 1993م، 216/4.

من المعلوم تماماً أنه لا إكراه في الدين، وهذه قاعدة مدعّمة بحكمين أساسيين قوامهما أن الله يهدي من يشاء وأن الحساب والمحاسبة والمحاكمة إنما تكون له وحده، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} (الحج: 17)، فالمفاضلة بين الخلائق إنما هي لله وحده، فالدين شأن شخصي وخيار فردي للإنسان ولهذا أيضاً قاعدة من القرآن الكريم، قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} (يونس: 108).[31]

مما سبق نستنتج أن الحوار في الإسلام مشروع متكامل، بل هو من صلب العقيدة الإسلامية، ومن أهم الأدلة على ذلك لقاءات الرسول الكريم مُحَمَّد ﷺ مع أصحاب الأديان الأخرى، ثم لقاءات الصحابة الكرام من بعده مع أهل الديانات السماوية وخاصة المسيحية سواء كان ذلك عن طريق الرسائل المتبادلة أو اللقاءات المباشرة.[32]

3-2- أهداف الحوار بين الأديان الثلاثة:

من المعلوم أنَّ الحوار وسيلةٌ لإظهار ما في الأديان من قيم وأفكار من شأنها أن توفر مناخاً للصداقة والسلام واستبعاد جميع مظاهر العداء في المواقف والتعبير عن الآراء، ويجب كذلك أن يتضمن النفع المتبادل لجميع الأطراف والأمم التي تشارك فيه، وأن يسعى للقيام بعملية حضارية كبيرة وهي تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تسود المجتمعات وتعوق مسيرة التعاون والتفاهم والحوار.

لذلك فإن أهداف الحوار – بين الأديان الثلاثة ضمن المساحات المشتركة بينها – يجب أن تتمثّل في كل ما يحقق الخير والصلاح للناس كافة، والتعارف المأمور به في القرآن في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا}(الحجرات: 13)، يتسع ليشمل التعاون والتعايش، وكل ضروب العمل الإنساني المشترك لما فيه الخير والمنفعة لبني البشر.

ومن هنا فإن أهداف الحوار ينبغي أن تبدأ من الإنسان وتدور حول شؤونه وقضاياه، وتعود عليه، لئلا يفقد الحوار قيمته وأهميته ومضمونه الغني، وهذه الأهداف من الكثرة بحيث يتعذّر حصرها، ولكن نتعرّض هنا لبعض الأهداف على سبيل المثال لا الحصر، ويمكننا أن نبدأ بالأهداف التي وردت في إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي، فقد *نصّ هذا الإعلان على الأهداف التالية*:

31- انظر: علي جريشة، **أدب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى 1989م، ص 91، خالد الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، دار العلوم العربية – بيروت، د/ط.ت، ص 318-320.

32- انظر: سعود المولى، **الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة**، دار المنهل اللبناني – بيروت، 1996م، ص 33.

3-2-1- نشر المعرفة وحفز المواهب وإثراء الثقافات.

3-2-2- تنمية العلاقات السلمية والصداقة بين الشعوب، والوصول إلى جعل كلٍ منها أفضل فهماً لطرائق حياة الشعوب الأخرى.

3-2-3- تمكين كل انسان من اكتساب المعرفة، والمشاركة في التقدم العلمي الذي يحرز في جميع أنحاء العالم.

3-2-4- تحسين ظروف الحياة الروحية والوجود المادي للإنسان في جميع أرجاء العالم.[33]

3-3- الأهداف الإضافية:

و بإمكاننا أن *نزيد بعض الأهداف من إجراء الحوار* بين الأديان السماوية الثلاثة منها:

3-3-1 حوار المساحات المشتركة بين الأديان الثلاثة هو في الحقيقة تطبيق لمبدأ الدعوة إلى دين الله تعالى، كما أن الحوار بين الأديان هو مجال مهم يمكن للمسلمين الاستفادة منه بكل حرية لتحقيق واجب ديني هو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

3-3-2- حوار المساحات المشتركة هو وسيلة فعّالة ليلتقي أتباع الديانات الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) وخاصّة الذين يعيشون في بقعة جغرافية واحدة لأجل جمع الكلمة، وتوحيد الصفوف لمواجهة عدو مشترك يتهددهم جميعاً.

3-3-3- حوار المساحات المشتركة بين الأديان السماوية الثلاثة وسيلة فعالة لمنع حدوث الفتن الطائفية التي يمكنها أن تمزّق كيان الأمة الواحدة التي يعيش ضمنها أتباع الأديان الثلاثة، إذ من الممكن أن تستغلّ بعض الجهات الخارجية هذا الواقع لبثّ بذور الفتنة والشقاق كما حدث في لبنان الذي عاش الحرب الأهلية خمس عشرة سنة منذ 1975م إلى 1990م.

3-3-4- يمكن توجيه حوار المساحات المشتركة لإظهار حقائق الدين الإسلامي، ومحو الصورة المشوهة له عند الغير، وكلك يمكننا عرض قدرة الإسلام على مواكبة كل تطورات العصر الحديث، وتقديمه الحلول المناسبة لكل المشاكل التي تواجه البشرية.

3-3-5- الحوار بين الأديان السماوية الثلاثة يشكّل وسيلةً لعرض المسيحية الحقيقية على المسيحيين في العالم؛ وذلك بتوضيح الأخطاء والانحرافات التي وقعت بها الكنيسة ورجالها.[34]

33- **إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي الصادر عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة** في تشرين الثاني سنة 1996م، المادة الرابعة.

34- انظر: عجك، **الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ – التاريخ – الموضوعات – الأهداف)**، ص 431-434.

3-3-6- للحوار بين الأديان الثلاثة أهمية كبرى، لا سيما في مجال المساحات المشتركة ونقاط الاتفاق بين الأديان، حيث يكون للحوار حولها دور في تجسيد هذه القضايا وإبراز أهم معالمها، وتبرز أهمية هذا الحوار وأهدافه في معالجة القضايا المستجدة المتعلقة بما اتفق عليه الأديان الثلاثة سواء فيما يتعلق بالاعتقاد أو العبادة أو مجال الأخلاق أو المعاملات.

3-3-7- الوصول إلى رؤى جديدة حول المواضيع والنقاط المشتركة بين الأديان وتطويرها إن أمكن ذلك.

4 المطلب الرابع: المحاور التطبيقية لحوار المساحات المشتركة

تدعو وحدة الأصل السماوي للديانات الثلاثة الإسلام والمسيحية واليهودية وصدورها من نبع واحد إلى البحث دائماً عن الأسس المشتركة التي جاءت بها هذه الرسالات، والتركيز على المواضيع التي تتلاقى عندها.

ولعل من أهم تلك المواضيع التي تشكل نماذج يمكن اعتمادها في حوار المساحات المشتركة: قضية الألوهية، وقضية اليوم الآخر، وقضية العبادة.

4-1- أولاً: قضية الألوهية

فطر الله تعالى الخلق لعبادته وطاعته والإخلاص له، فتوحيد الألوهية والإقرار بالربوبية هما الغاية المقصودة للعباد؛ ذلك أن عقيدة التوحيد البعيدة عن الأوهام والتحريف والخرافات هي رسالة الرسل جميعاً، ودعوة الكتب السماوية قاطبةً، فالأديان السماوية الثلاثة (الإسلام والمسيحية واليهودية) هي في الأصل دين واحد هو الإسلام لله تعالى، متفقةً في القواعد والأصول الإيمانية من توحيد الله ونفي الشريك له وتنزيهه سبحانه عن النقائص.

يقول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: {شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيه}(الشورى: 13).

ويسرد الكتاب المقدّس في بعض الإصحاحات تجليات الرّبّ لموسى في جبل سيناء، وبعضها كان على مرآى ومسمع من بني إسرائيل، وما ألقى إليه الرب من وصايا وتشريعات دينية وتعبدية وخُلُقيّة ومدنية وأسرية ومن جملتها التوحيد المطلق، وعبادة الله تعالى وحده.

ويشير عبد الراضي مُحَمَّد في كتابه "التطرف اليهودي" بأن الله تعالى حذّر موسى عليه السلام من عبادة الأوثان وأعطاه بعض الوصايا الهامة، يقول: "والحذر البات من عبادة أي شيءٍ غير الله بأي شكل، وعدم السجود لأي صورة مصورة أو

منحوتة، وعدم الحلف بالله باطلاً، وتحريم العمل في السبت، وتكريم الوالدين، والنهي عن السرقة والقتل والزنا وشهادة الزور".[35]

وهذا الذي ذكره عبد الراضي مُحَمَّد هو نص ما جاء في الوصايا العشر التي تتضمن أهم الأدلة على التوحيد الذي جاء به النبي الكريم موسى عليه السلام، فالاعتقاد بوجود الله ووحدانيته مستقر في أذهان اليهود، إلا أن هذه العقيدة التي نادى بها جميع أنبياء بني إسرائيل لم يستطع اليهود أن يحتفظوا بها ويستقروا عليها طيلة حياتهم، بل كان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد أكثر من الثبات، من هذه النصوص نستنتج أن قضية الألوهية لم تكن عميقة الجذور في نفوس اليهود طالما كانت الأسباب المادية والتطلع إلى النفعية أكثر ما يشغلهم، وهذا دليل على رمز المادية التي تحكمت في فكر اليهود على مر التاريخ.[36]

لكن هناك تصورات دينية وعقائدية لدى اليهود تمس الذات الإلهية بما لا يليق، ولعل فكرة اليهود عن الله سبحانه وتعالى لم تتخذ شكلها الواضح المتكامل إلا على يد النبي موسى عليه السلام الذي أخرجهم من مصر وأنزل الله تعالى عليه شريعة الأحكام ليسلّمها إلى اليهود.[37]

وتنحصر كذلك عناصر قضية الألوهية في المسيحية عند أتباعها اليوم في العناصر التالية:

أولاً: التثليث: ألوهية الله، وألوهية المسيح، وألوهية الروح القدس.

ثانياً: تجسّد الابن وظهوره بمظهر البشر ليصلب تكفيراً للخطيئة التي ارتكبها آدم أبو البشر.

ثالثاً: الإله الآب والابن: فالمسيحيون يعتقدون أن الإله الآب ترك للإله الابن دينونة الناس ومحاسبتهم على خطاياهم، فالإله الابن حين ظهر بمظهر الإنسان كان أقرب لفهم الإنسان.

لكن الإيمان بالثالوث السابق خلق لهم مشكلة وهي محاولة التوفيق بين الوحدانية التي هي سمة الأديان السماوية والتي قالت بها التوراة بصراحة، وبين التثليث، لكن بعضهم حاول التوفيق بين الوحدانية والتثليث، وقد ورد في قاموس الكتاب المقدّس أن طبيعة الله عبارة عن ثلاثة أقانيم متساوية: الله الآب والله الابن والله الروح القدس.[38]

فمما سبق نستنتج أن قضية الألوهية متأصّلة في الديانات السماوية الثلاثة بطابعها التوحيدي.

---

[35]- عبد الراضي مُحَمَّد، **التطرف اليهودي (تاريخه، أسبابه، علاماته)**، مكتبة التوعية الإسلامية – الطبعة الأولى، 1993م، ص15.

[36]- انظر: الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، ص257.

[37]- انظر: عبد الرزاق أسود، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، الدار العربية للموسوعات – الطبعة الأولى، 1981م، 1/182-183.

[38]- انظر: الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، ص261.

4-2- ثانياً: قضية اليوم الآخر

نؤمن – نحن المسلمين – بوجود الله تعالى، وندرك ذلك بالعقل والنقل من آياته ومخلوقاته في الكون والإنسان والحياة، ولقد أخبر الله تعالى أن للعالم الحاضر نهاية هي يوم القيامة، وأن لهذا اليوم علامات تظهر قبله، وأن كل إنسان سيبعث يوم الحشر، فيُسأل عمّا فعل في الدنيا، إن كان خيراً دخل الجنة، وإن كان شراً دخل النار، ويعتقد المسلمون كذلك أن كل من دخل النار غير مشرك بالله فإنه سينال جزاءه على ما ارتكب من الذنوب في الدنيا ثم يخرج منها إلى الجنة والنعيم، وأن في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.[39]

يذهب كثير من الباحثين إلى أن التوراة خالية من الإشارة إلى البعث والحساب والجزاء، وقد ورد في الكتاب المقدّس ما يُشعر بذلك، ولعلنا حين نقرأ سفر أيوب كاملاً نشعر وكأنه يبين أن مصير الإنسان بعد الموت بأنه لا يرجع ثانيةً البتّة ولا يحيا إلى الأبد، يقول السفر: [أذكر أن حياتي إنما هي ريح وعيني لا تعود ترى خيراً، لا تراني عين ناظري عيناك علي ولست أنا، السحاب يضمحل ويزول هكذا الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد، لا يرجع بعد إلى بيته ولا يعرفه مكانه بعد، فاختارت نفسي الخنق الموت على عظامي هذه، قد ذبت لا إلى الأبد أحيا كفّ عني لأن أيامي نفخة](أيوب:7/7-10، 15-16)، أما أسفار موسى الخمسة وكذلك أسفار الأنبياء فإنها لا تعطينا مفهوماً محدداً ودقيقاً لليوم الآخر عند اليهود، لكننا نجد أن مفكري اليهود وعلماءهم يصرّحون بالإيمان في البعث والآخرة.

يقول سعديا الفيومي: "إن إحياء الموتى اذي عرّفنا ربنا أنه يكون في دار الآخرة للمجازاة فذلك مما أُمّتُنا مجمعة عليه".[40]

وتعتقد بعض الفرق اليهودية أن بعث الأموات يحصل على مرّتين:

الأولى: في زمن المسيح المنتظر عندهم، وذلك البعث مختصّ بالصالحين من الأمة على وجه المعجزة للمسيح والكرامة لأولئك الصالحين.

الثانية: ببعث الموتى في القيامة العامة لكافة الناس صالحين وطالحين، للجزاء بالثواب الأبدي على الطاعة، وللعقاب على المعصية.[41]

وإذا اعتمدنا الأدلة الأخيرة في المسألة فإننا نستطيع أن نقول إن اليهودية تقر بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار، وتؤمن بالحياة الآخرة، وعندنا – نحن المسلمين- دليلٌ ذكره القرآن الكريم عن مؤمن من آل فرعون، حيث كان يُذكّرهم

[39]- انظر: الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، ص300-301.

[40]- سعديا الفيومي، **الأمانات والاعتقادات**، لندن – 1988م، ص211.

[41]- انظر: الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، ص267.

باليوم الآخر، قال تعالى: {وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ، مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ}(غافر: 38-40).

وكذلك حديث السيدة عائشة ﵂ فيه دليل على إيمان اليهود بعوالم الآخرة التي أولها عالم البرزخ، فعن عائشة ﵂ قالت: دخلت عليّ عجوزان من عجز يهود المدينة، فقالتا: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم، قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علي رسول الله ﷺ، فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علي، فزعمتا أن أهل القبور يعذبون في قبورهم، فقال: «صدقتا، إنهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم» قالت: «فما رأيته، بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر».[42]

من خلال الإعلانات الواردة في الكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد يلمح الباحث إشارات واضحة تدلل على نظرة أهل الكتاب لما يحدث في الكون قبل اليوم الآخر، لكننا نجد اختلافاتٍ بيّنة في إيمانهم بالبعث والحساب والجزاء، علماً بأن السيد المسيح عليه السلام قد تطرق لموضوع النفس بعد الموت، ويشير إلى ذلك ميشيل يتيم حيث ذكر في كتابه "تاريخ الكنيسة الشرقية" أن السيد المسيح قد أوضح في تعاليمه مصير النفس الخالدة بعد الموت، فمصيرها النعيم الأبدي في السماء مع الله والملائكة والقديسين، أو العذاب الدائم في جهنم مع إبليس، وكانت هذه الحقيقة غامضة عند اليهود، ثم إنه حرر الديانة الجديدة من القيود والتقاليد الخارجية، وجعلها ديانة روحية تهتم قبل كل شيء بإيمان القلب واستقامة الضمير والثقة التامة بالله تعالى.[43]

لذا فالمسيحيون يعتقدون بالحساب والجزاء لكل البشر، ويطلقون على موقف الحساب والجزاء (الدينونة)، وحكم هذه الدينونة نهائي لا يقبل النقض ولا الاستئناف، وبموجب هذا الحكم يدخل الأبرار إلى أمجاد ملكوت الله، ويذهب الأشرار في الظلمة الخارجية واليأس الأبدي.[44]

وبعد هذا العرض يتبين أن عقيدة اليوم الآخر ركن من أركان المسيحية، كما أنها ركن من أركان الإسلام.

4-3- ثالثاً: قضية العبادة

[42]- رواه البخاري مُحَمَّد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح والمسند المختصر من سنن رسول الله وأموره وأيامه**، كتاب الدعوات، باب التعوذ من عذاب القبر، رقم (6366)، 78/8، ومسلم بن الحجاج، **الجامع الصحيح**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوّذ من عذاب القبر، رقم (125)، 411/1.

[43]- انظر: ميشيل يتيم، **تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية**، منشورات المكتبة البولسية - ط7، 1993م، ص7.

[44]- انظر: الصلاح، **العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها**، ص270.

ليس بالإمكان أن نستطرد في الحديث عن مسألة العبادة في الأديان السماوية الثلاثة؛ لأن مفهومها واسع، لذا فإني في هذا البحث سأقتصر على بيان ومقارنة نوعٍ واحد من العبادة وهي الصلاة.

الصلاة من أجلّ العبادات في الإسلام بعد الشهادتين، وهي فريضة الله تعالى على كل مؤمن، ولقد أمر الله تعالى بأدائها وإقامتها في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، قال تعالى:{فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا} (النساء: 103).

ولقد جعلها النبي الكريم ﷺ القاعدة الثانية من قواعد الإسلام الخمس، فعن ابن عمر، عن النبي ﷺ، قال: «بني الإسلام على خمسة، على أن يوحد الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، والحج».[45]

ومن الحكم الجليلة في الصلاة أنها تطهّر النفس وتزكّيها، وتؤهل العبد لمناجاة الله تعالى في الدنيا ومجاورته في الآخرة، كما أنها تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر.[46]

وقد أمرنا الله بالصلاة طاعةً له وتهذيباً لنفوسنا وفائدةً لأجسامنا وعقولنا، وللصلاة في الإسلام منافع وفوائد كثيرة نعرف البعض منها ولكن يخفى علينا الكثير مما هو في علم الغيب لحكمة أرادها الله، سنذكر بعضا منها:

الصلاة هي رياضة جسمية وعقلية وروحية بسيطة وخفيفة، لا تتعب الجسم ولا العضلات ولا القلب، ولا تضر الجسم، وعلى العكس فهي تفيد الجسم لبساطتها وخفتها، فتنشط الجسم وتخلص الشخص من الخمول والكسل والارهاق، وإذا ما داومنا على الصلاة فإننا نحافظ على أجسامنا سليمةً وعلى نفوسنا مستقرة وهادئة، وعلى عقولنا متزنة.

أما اليهود فإن مفهوم العبادة عندهم يحيطه نوع من الغموض، ووصف كتاب الفكر الديني اليهودي الصلاة وطقوسها بقوله: "لم تكن الصلاة محدودة وإجبارية عند اليهود، بل هي حسب الأحوال والاحتياجات الشخصية، ولكن بعد تخريب الهيكل وسبي يهود بابل بطل تقديم القرابين ووضعت الصلاة بدلاً منها، والصلاة عند اليهود على نوعين:

صلاة فردية أو شخصية: وهي صلاة ارتجالية يقوم بها الشخص حسب ظروفه واحتياجاته الشخصية، ولا علاقة لها بالطقوس والمواسم والمواعيد.

صلاة مشتركة أو عمومية: وهي التي تؤدى باشتراك مجموعة من الناس علناً، وفي أمكنة مخصصة لها ومواعيد معلومة، وحسب طقوس وقوانين مقررة."[47]

[45]- رواه الشيخان: البخاري، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «بني الإسلام على خمس»، 1/10، ومسلم، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ بني الإسلام على خمس، 1/46.

[46]- انظر: أبو بكر الجزائري، **منهاج المسلم**، مكتبة الإيمان - 1964م، ص158.

وكانت الصلاة مركبة في الغالب من النثر ثم النظم وتتلى بطريقة الغناء، وبالتدريج صارت تستعمل الآلات الموسيقية، وفي أيام الصيف كان اليهود يلبسون الخشن من الملابس في صلاتهم، ويحرصون على وضع الأيدي على الصدور مع حني الرؤوس قليلاً، ويتوجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس، وتبدأ الصلاة عندهم بغسل اليدين قبلها، ثم يوضع شال صغير على المنكبين، وأما في صلاة الجماعة في المعبد فيستعمل شال كبير، ويجب ألّا تلمسه النساء، ويلبسه اليهودي منذ أن يبلغ سن التكليف وهي ثلاث عشر سنة، ويبقى عنده حتى وفاته، ويُكفّن به عادة.[48]

وإذا انتقلنا إلى الديانة المسيحية نجد أن المسيحيين يهتمون بالصلاة أكثر من أي عبادة، وليس للصلاة في المسيحية ترتيب خاص إنما هي أدعية تختلف من مكان إلى آخر ومن طقس لآخر.

ويرى كثير من المسيحيين أن الانتظام في الصلاة إنما هو توجيه اختياري وليس إجباريّاً، وغاية ما يلزم أن تحويه الصلاة أن تكون على نسق الصلاة الربانية التي قدّمها السيد المسيح عليه السلام وهي كما جاءت في الكتاب المقدّس: [وإذ كان يصلي في موضع لما فرغ قال واحد من تلاميذه يا رب علمنا أن نصلي كما علم يوحنا أيضا تلاميذه، فقال لهم متى صليتم فقولوا أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الارض، خبزنا كفافنا أعطنا كل يوم، واغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضا نغفر لكل من يذنب إلينا و لا تدخلنا في تجربة لكن نجنا من الشرير](لوقا: 1/11-4).

وعموماً فإن الصلاة في المسيحية لها شرطان أساسيان هما:

أوّلهما أن تُقدّم باسم المسيح، وثانيهما أن يسبقها الإيمان الكامل بالعقائد المسيحية، وأن كل ما يدعو به المرء في صلاته فإنه سيناله.

ومن خلال العرض السابق يكون قد تكون لدينا صورة عامة عن مسألة الصلاة في الأديان السماوية الثلاثة الإسلام واليهودية والمسيحية.

الخاتمة

بعد العرض المتقدم تبرز جلياً الحاجة الملحّة إلى قيام حركة فكرية رشيدة على صعيد العالم بأكمله، تدفع باتجاه تجديد علاقات التعاون مع شعوب العالم وأممه، وذلك من منطلق الحرص المشترك على استقرار المجتمع الإنساني والحفاظ على

[47]- حسن ظاظا، **الفكر الديني عند اليهود (أطواره ومذاهبه)**، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية - 1971م، ص142-143.

[48]- انظر: أسود، **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**، ص181.

الحضارة الإنسانية في شتّى نواحي الحياة، ولئن كنا نحن المسلمين قد تعرضنا لأزمات كثيرة عبر مسيرتنا التاريخية فإن المصلحة العليا في الحاضر والمستقبل تتطلّب منا أن نكون حملةَ مشعل الحوار في مدلولاته الثقافية الشاملة.

ونستطيع بعد عرض المباحث السابقة أن نستنتج ما يلي:

1- إن مفهوم (المساحات المشتركة) مفهوم واسع، ويشمل الكثير من الميادين والقضايا التي اتفقت الديانات السماوية على تشريعها.

2- يشكّل الحوار السبيل الأسمى لضبط الاختلاف المذموم وتفعيل قيم التعاون والتألف.

3- يُعدُّ الحوار بين الأديان ركيزةً أساسية في الدعوة إلى الله تعالى، وهو السبيل لاكتساب العلم وتلقي المعرفة.

4- تبين في البحث دور الحوار في إبراز الجوامع المشتركة بين المتحاورين وتعميق المصالح المشتركة بينهم.

5- الحاجة إلى حوار هادف للأديان تنبع من طبيعة هذا العصر الذي اشتدّ فيه الصراع بين الدول والأمم والشعوب.

6- تبين في البحث الضرورة الكبيرة لتهيئة الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار، ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه للحق المنشود.

وفي نهاية البحث وبعض عرض النتائج السابقة نستطيع أن نطرح بعض الاقتراحات والتوصيات:

1- ضرورة اتخاذ الإجراءات السريعة المناسبة لوضع الحوار موضع التنفيذ لتكوين علاقات سلمية ناجحة.

2- السعي الحثيث من أجل لم الشمل بين المسلمين وتحقيق وحدتهم، والقضاء على كل عوامل الفرقة والاختلاف بينهم.

3- استحداث مقرر دراسي في مختلف المؤسسات التعليمية في العالم بأكمله باسم (ثقافة الحوار)؛ لترسيخ مفهوم الحوار وأهميته.

4- العمل على إعداد جيل من الشباب الأكفاء، يتقنون اللغات الأجنبية إعداداً خاصاً، وتزويدهم بكل أوعية المعلومات العلمية المتاحة التي تعينهم على التعامل مع واقع عصرهم، ومخاطبة غير المسلمين بروح علمية دعوية منفتحة.

5- وكذلك ينبغي تفعيل دور الملحقات الثقافية والدينية في سفارات الدول كافّة وجعلها حلقة تواصل وحوار مع الناس.

6- ضرورة إنشاء هيئة عالمية للحوار بين أتباع الديانات السماوية الثلاثة، تتمتع هذه الهيئة بالاستقلال عن جميع الحكومات والتيارات والجماعات السياسية كي نضمن لها الحرية والحياد المناسبين لأداء دورها.

المراجع:

1- أبو بكر الجزائري، منهاج المسلم، مكتبة الإيمان – د/ط، 1964م.

2- أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، تحقيق: مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، 1991م.

3- أحمد بن عبد الرحمن الصويان، الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، دار الوطن – الرياض، 1983م.

4- أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر – الطبعة الأولى 1979م.

5- أحمد بن مُحَمَّد ابن حنبل، مسند أحمد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2001م.

6- أحمد عبد الرحمن القاضي، دعوة التقريب بين الأديان، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى 1422هـ.

7- أحمد عطية الله، القاموس السياسي، دار النهضة العربية – القاهرة، الطبعة الثالثة 1968م.

8- إعلان مبادئ التعاون الثقافي الدولي الصادر عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة في تشرين الثاني سنة 1996م.

9- أليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة: خلف مُحَمَّد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، العدد (215) المجلس الوطني للثقافة والآداب والفنون – الكويت، 1996م.

10- بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي (المبادئ – التاريخ – الموضوعات – الأهداف)، دار قتيبة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1998م.

11- حسن ظاظا، الفكر الديني عند اليهود (أطواره ومذاهبه)، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية – 1971م.

12- خالد الصلاح، العقائد المشتركة بين اليهود والنصارى وموقف الإسلام منها، دار العلوم العربية – بيروت، د/ط.ت.

13- الخليل بن أحمد الفراهيدي، العين، دار ومكتبة الهلال – د/ط.ت.

14- سالم إيلي، دورة ورؤية، مركز الدراسات الإسلامية المسيحية، جامعة البلمند، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، د.ط 1996م.

15- سعديا الفيومي، الأمانات والاعتقادات، لندن – 1988م.

16- سعود المولى، الحوار الإسلامي المسيحي ضرورة المغامرة، دار المنهل اللبناني – بيروت، 1996م.

17- عبد الراضي مُحَمَّد، التطرف اليهودي (تاريخه، أسبابه، علاماته)، مكتبة التوعية الإسلامية – الطبعة الأولى، 1993م

18- عبد الرحمن السلمي، الحوار بين الأديان حقيقته وأنواعه، دار الصفا، الطبعة الأولى 2000م.

19- عبد الرزاق أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الدار العربية للموسوعات – الطبعة الأولى، 1981م

20- عبد العزيز التويجري، الحوار من أجل التعايش، دار الشروق، الطبعة الأولى 1998م.

21- عبد العظيم الديب، الحوار والتعددية في الفكر الإسلامي، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى 1996م.

22- علي جريشة، أدب الحوار والمناظرة، دار الوفاء – المنصورة، الطبعة الأولى 1989م.

23- مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار الهداية، د/ط.ت.

24- مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، مُحَمَّد النجار)، المعجم الوسيط، دار الدعوة، الطبعة الأولى د/ت.

25- مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، آداب البحث والمناظرة، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، د/ط.ت.

26- مُحَمَّد السحيم، الحوار النصراني الإسلامي (تاريخه – أهدافه – غاياته – الموقف الشرعي منه)، الجمعية السعودية للدراسات الدعوية، د/ط.ت.

27- مُحَمَّد السمّاك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، دار النفائس – بيروت، الطبعة الأولى 1998م.

28- مُحَمَّد سيد طنطاوي، أدب الحوار في الإسلام، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، د.ط 1997م.

29- مُحَمَّد عبده، الأعمال الكاملة، تحقيق: مُحَمَّد عمارة، دار الشروق – القاهرة 1993م.

30- مُحَمَّد عمارة، العالم الإسلامي والمنظام الدولي (الخلفية التاريخية والتحولات المعاصرة)، مركز دراسات العالم الإسلامي – مالطة، الطبعة الأولى 1992م.

31- مُحَمَّد محفوظ، الإسلام والغرب وحوار المستقبل، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى 1998م.

32- مُحَمَّد نفيسة، الحوار سبيل التعايش مع التعدد والاختلاف، دار الفكر المعاصر – بيروت، 1995م.

33- محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى 1999م.

34- منقذ السقار، الحوار مع أتباع الأديان مشروعيته وآدابه، رابطة العالم الإسلامي، د/ط.ت.

35- ميشيل يتيم، تاريخ الكنيسة الشرقية وأهم أحداث الكنيسة الغربية، منشورات المكتبة البولسية – ط7، 1993م

36- وليم سليمان، الحوار بين الأديان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976م.

37- يحي الزمزمي، الحوار (آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة)، دار التربية – الطبعة الأولى 1414.